(تشكلات الجانب الروحي عند سعاد الحكيم: دراسة تحليلية)

مستل من رسالة ماجستير بعنوان:

(جهود سعاد الحكيم في دراسة التصوف والأخلاق في الإسلام)

إعداد الدراسة

أسماء أبو العطا محمود

طالبة ماجستير بقسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

تحت إشراف

أ.م.د. عادل سالم عطية

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

(مشرفًا رئيسًا)

أ.م.د. حمادة محمد سالمان

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

(مشرفًا مشاركًا)

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م

ملخص:

يتناول البحث جهود سعاد الحكيم في دراسة التصوف الإسلامي وعلاقتها بابن عربي ولغته، ومنهجها في دراسة التصوف، وأهم السمات التي تميز هذا المنهج، كما يناقش العوامل التي شكلت التجربة الروحية عند سعاد الحكيم، وخصوصية الخطاب لدى الحكيم، وانفتاح نصها على عدة مستويات معرفية من ناحية، وتقاطع الحقول المعرفية لديها من ناحية أخرى. كذلك يتناول البحث جهود الحكيم بناء الجانب الإنساني.

الكلمات الافتتاحية :

سعاد الحكيم ،التصوف ، ابن عربي

Summary:

The research deals with the efforts of Suad Al-Hakim in studying Islamic Sufism and its relationship with Ibn Arabi and his language, her approach to studying Sufism, and the most important features that distinguish this approach. It also discusses the factors that shaped the spiritual experience of Suad Al-Hakim, the specificity of Al-Hakim's discourse, and the openness of her text to several cognitive levels on the one hand, and the intersection of her cognitive fields on the other hand. The research also deals with Al-Hakim's efforts to build the human aspect.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده محكمًا ومفصلًا، لينظر فيه أولو الألباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين.

وبعد،،

فإنّ شخصية هذا البحث تمتاز عن غيرها من شخصيات الباحثين والباحثات في مجال التصوف والفلسفة؛ لكونها امرأة تمردت على ظروف قاسية، من مرض أقعدها في الفراش مما جعل طريق الاستسلام ممهدًا، فاختارت هي طريقا آخر، واتخذت من فراش مرضها محرابًا للتأمل في الذات والكون، وتمردت مرة أخرى على مجتمع أعطى لجنس الذكورة حرية كاملة، دون النظر لمكنون "الأنثى" وما تستحقه وما هي قادرة عليه.

الدكتورة سعاد الحكيم، قد تضافرت معها عناصر الكون لتدعم مسيرها في التحدي، فأرسلت لها أبًا نظر إليها كابنة، كذات من وراء جنس الذكورة والأنوثة، إنها امتداد إنساني له، في شرق لا يرى الامتداد الإنساني إلا عبر النسب المادي الذي يعطيه الذكور فحسب[1].

ومن ثم إن هذا البحث يجيب عن سؤالين في غاية الأهمية للدخول إلى عالم باحثة صوفية من طراز خاص: ما العوامل التي شكلت التجربة الروحية لدى سعاد الحكيم؟

وما الامتداد الإنساني لتجربة ابن عربي في تجربة سعاد الحكيم؟

وأخيرًا؛ كيف استطاعت الحكيم أن تُحيك لنفسها منهجًا خاصًا في دراساتها على تعدد موضوعاتها؟

أسباب اختيار الموضوع :

١- ندرة الكتابات النسوية التي تحدثت عن التصوف الإسلامي، وجمعت بينه وبين الفلسفة، بوصفه تجربة روحية تعبر عن أصالة الذات الإنسانية.

٢- محاولة حل معادلة الجمع بين العقل والقلب، والبرهنة على أنه أمر يمكن حدوثه من خلال اتساع رقعة الثقافة الروحية وامتداداتها.

٣- الوقوف على العوامل التي ساعدت في تكوين شخصية متنوعة في نتاجها الفكري مثل سعاد الحكيم.

٤- الوقوف على منهج سعاد الحكيم في دراسة التصوف الإسلامي وإبراز النزعة الفلسفية الممتدة في نتاجها الصوفي.

ـ الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة مستقلة عن سعاد الحكيم، ولا عن حياتها بشكل عام، حيث لم تقف الباحثة على دراسات أكاديمية متخصصة في هذا الشأن.

ـ خطة البحث:

يتضمن هذا البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة، تشتمل على نتائج البحث، وقائمة بأهم المراجع والمصادر:

- وجاء **المبحث الأول بعنوان:** عوامل تشكيل الجانب الروحي عند سعاد الحكيم، ويشمل ذلك خمسة عناصر، هي:

أ- والدها. ب - المحن والصعوبات التي مرت بها.

ج - البيئة. د - أستاذها بولس نويا. هـ- ابن عربي.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان: منهج الحكيم في دراسة التصوف الإسلامي، ويشتمل على ثمانِ نقاط، هي:

أولا-النقد. ثانيا-استخدامها للعقل.

ثالثا- الدفاع عن الأفكار الروحية رابعا- طرحها للأسئلة.

خامسا- المقارنة

سادسا- المترع الفلسفي.

سابعا- القراءة والتأويل.

ثامنا- ربط الأفكار بالأصول الدينية.

ثم جاءت خاتمة البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول
عوامل تشكيل الجانب الروحي عند سعاد الحكيم

تكونت شخصية "سعاد الحكيم" من مجموعة عوامل قوية، أثـرت فيهـا، حـتى استطاعت أن تخرج من دائرة الانحراف الفكري، لاسيما في مجتمع منفتح مثل المجتمع اللبناني، فلم يكن من السهل أبدا أن تتجه المرأة إلى العلم على هـذا النحـو بـل وتتمسك به وتخوض غمار التجربة الصوفية وتنسج منها ثوبا ترتديه في كل مراحل حياتها، و لم يمنعها ذلك من أن تلتفت إلى الشق الأساسي في حياتها، وهـو الحيـاة العائلية، فنجدها تنجح في كونها ابنة بارة، وزوجة تشد الوثاق حول مترلها الصغير، وتبدع في كونها أما تتمتع بأسمى معاني الأمومة، ومع كل ذلك تبقى الدكتورة سعاد الحكيم .[٢]

تخوض بقلمها حروبا طويلة وتتجول في أروقة المحافل العلمية، لـيس في مجـال التصوف فحسب؛ بل وفي علم اللغة، والفلسفة والتاريخ الثقافي وفي علم الأخـلاق أيضا.

لتخرج لنا ما تحصلت عليه من سمو روحي، ومن ثم أخذت تحلل وتناقش وتقدم لأمهات الكُتب ، وعلى الرغم من وصولها إلى مرتبة عالية، وشـهرة واسـعة بـين المهتمين بالتصوف الإسلامي، فإنها دائما ما تنسب الفضل في تكوين الجانب الروحي والصوفي عندها إلى مجموعة من الشخصيات التي كان لها تأثير كـبير في إنتاجهـا الفكري.

أ ـ والدها:ـ

تحدثنا أنها قد وجدت نفسها في التاسعة من عمرها تطوق للبحـث والمعرفـة وكان ذلك بفضل "والدها" العنصر الأول والأساسي في تكوينها الصوفي وهي في ذلك تقول: " منذ التاسعة من عمري، اتصل الحديث بيننا... ولست أدري لماذا نظر إلي ككائن مميز، ودفعني إلى النظر إلى ذاتي على أنني "قيمَة "في أطوار الوجـود"[٣]،

فأدركت حينها أن الإنسان لا يُقدر بما يملك من مال أو منصب بل بحجمه **الروحاني**، ولا فضل لإنسان على آخر إلا بقيمته الروحانية التي تجعله في مراتب القربى من الله ﷻ .

و لم يكن تعليمه لها نصيا أو بالإكراه – بل إنه وبشكل كبير – كان يرجع إلى فراستها في التلقي واصطياد الخصال، ونظرة ثاقبة استطاعت بها أن تشكل صورة قيمة عن الفكر الصوفي، ومن ذلك قولها :" إنني الابنة البكر لعائلة بيروتية محافظة، ولولا صوفية أبي لكانت إمكانياتنا المادية تركت في فمي طعما من (وهم الحرمان)".(٤)

ثم تشرح بطريقة أخرى تعامل والدها معها فتقول: " وقد تعامل أبي معي وجدانيا على أنني ذات إنسانية، من وراء جنس الذكورة والأنوثة، وكان يرى فيّ أنا الأنثى الامتداد الإنساني له، في شرق لا يرى الامتداد الإنساني إلا عبر النسب المادي الذي يعطيه الذكور من الرجال "(٥) .

كذلك تبرز الحكيم دور العائلة في تكوين الشخصية وتشكيلها حسب نمطها الخاص، حتى وإن كان في تيار معاكس للمجتمع المحيط، ومن الملفت للنظر أيضا نظرة الحكيم الثاقبة وسرعة البديهة التي جعلتها تنتبه للمؤشرات الصوفية التي بدأ بها أبوها رغم صغر سنها آنذاك، وكذلك عقليتها وتفكيرها الرصين الذي لم يتأثر بضيق الحال، فتشبعها بالخصال الصوفية منذ صغرها كان له عظيم الأثر في شتى مراحل حياتها .

ـ هل للأم أثر في حياة الحكيم؟

لم تذكر الحكيم والدتها في سردها لدور العائلة في حياتها، ولا في أي موضع آخر على ما توصلنا له، بل لم أجد لها ذكرا سوى في موضع واحد ذكرته نيلا طبارة في حديثها عن الحكيم قائلة:– " نشأت الدكتورة سعاد الحكيم في عائلة مسلمة، أعطتها منذ صغرها مثالين، مثال الأخلاق الإسلامية والعطاء المتفاني لوجه

الله الذي جسدته والدتها."[٦] وهو قول يوحي إلينا بأن الأم كانت ربة منزل ملتزمة بالأخلاق الإسلامية، لكن لم نستطع أن نحكم على دورها الحيوي في حياة الحكيم، خاصة وأنني لم أقف على وفاتها، فلم تذكر الحكيم سوى أن والدها قد توفي في السبعينيات.

بـ المحن والصعوبات :ـ

تخرج سعاد الحكيم من المحن التي تمر بها بمنح ربانية، تستطيع أن تغير مسارها بالكامل، ومن ذلك قولها: " وكم دخلت محناً في حياتي، ساعدتني قراءاتي الإيمانية للأحداث، ومحاولة اكتشاف الحكمة الإلهية منها، على الخروج سالمة بل أشد قوة وتماسكاً"[٧]

و لم يتوقف تأملها الروحاني الدقيق عند البحث العلمي والسمات الأخلاقية فحسب، بل نجدها تأنس بثقافتها الروحية وصوفيتها في أشد لحظات حياتها، فتتخذ من فراش المرض محرابا للتأمل، وقد أضاءته بنور إيمانها وقوة تحملها.

فتقول:- " مرضتُ مرضا أقعدني في الفراش قرابة سنة كاملة، كانت آلام بدني تجتاح عقلي وروحي، وفي ساعات انحساره كنت أتأمل في معنى الجسد وصحته وفنائه، وفي الموت والرغبة فيه والخوف منه، في أساسيات الحياة وسعادة الإنسان، لقد طلع التأمل عندي في أفق المرض، فعاينتُ ضآلة الإنسان وقلة عرفانه ولا شيئيته "[٨]

وهكذا لم تدع الحكيم محنة المرض التي هي من أقسى المحن -إن لم تكن أقساها على الإطلاق – أن تمر من أمامها دون وقفة حاسمة مع النفس، وهو أمر ليس بالهين، فسجلات المرض حافلة بالضعف والذل والهوان، وتفكير فيما سنتركه وفيما هو قادم، لكنها أضافت إلى ذلك التأمل ذلك العنصر الذي صاحبها في جميع مراحل حياتها، فالمتتبع لسيرتها يجدها كثيرة التأمل، تطوف بمخيلتها كل المواقف لا سيما مواقفها الحياتية لتحولها لنظريات علمية وقواعد فكرية .

ج ـ البيئة : ـ

إن البيئة هي المسار الأوحد الذي يمكننا أن نتفق عليه جميعا في تحديد هويتنا وشخصيتنا سواء بالإيجاب أو بالسلب، وقد أشارت سعاد الحكيم في كثير من المواضع إلى بيئتها، التي كانت تتحداها حينًا، وتنهل منها حينا آخر، فكل إنسان التقت به وجمعتها به المواقف المختلفة ، وكل مكان أقامت به، وكل فكر ساورته أو حاورته، هو جوهري في كينونتها .

فتقول :" حيث إن الواحد منا حين ينظر بعين عقله إلى مسار حياته يحولها إلى " نص"، قابل لقراءات متعددة، يختلف فيها المنطوق به والمسكوت عنه، أجدني أستسلم إلى نفس القدر، وأنظر إلى نص حياتي في مرآة عقلي، وأنتقي منه إرساءات بنيوية ولحظات حميمية، وقد يوافقني في قراءتها من يعرفني وقد لا يوافقني ".[٩]

د ـ أستاذها (بولس نويا)[١٠] :ـ

لم تكن سعاد الحكيم لتنكر فضل أُستاذها العراقي الأصل الفرنسي الجنسية ولا لتتكبر على كونها لم تشكل فكرا حول موضوع رسالتها وتخبطها في الاختيار، وبعد مقدمات وأسئلة، قال لها ما هو الموضوع، والشخصية التي ترغبين في العمل حول فكرها؟ وتقول إنها قد تفاجأت بسؤاله على هذا النحو، فقد كانت تظن أنه سيطرح عليها عدة مواضيع، فنطقت دون سابق تفكير " محيي الدين بن عربي" .[١١]

هكذا ظلت سعاد الحكيم تضرب لنا أروع الأمثلة في علاقة المتلقي بأستاذه؛ فعلاقة التصادم الفكري الذي بدأ بينها وبين أستاذها حينما رأى أنها غير جديرة على الخوض في محيط ابن عربي في حين أنها أصرت على اتخاذه كمادة علمية لبحثها، قد اتخذ ذلك التصادم مسلكا مضادا بفضل احترامها لفكرها وقدرتها وتصميمها على مواجهة ذاتها الفكرية، وانفرادها في قياس الأمور بمقياس التحدي الحميد والثقة المزهرة، لتتحول علاقتها بأستاذها بعد ذلك إلى علاقة تلاقيهم في الجوهر الإنساني ودليل ذلك قولها: " لقد اجتازنا معا الصور البرانية للتلاقي في الجوهر الإنساني، على

أرض نصوص النفري وابن عطاء السكندري، والمصطلح القرآني، موضوعات شغلت أستاذي، واتسمت علاقتنا بحميمية المحبة وتبادل المعرفة، وسمحت بانفراجات يرى الواحد منا فيها الآخر في معاناته على مسار إحقاق كينونيته ...ومن كان بالأمس يستنكر عملي في نتاج محي الدين بن عربي، أصبح طالبا له، ومصراً عليه ".[١٢]

فنجد أن الحكيم قد تبعت أستاذها في بعض من القضايا والشخصيات التي اهتم بها، ومنها اهتمامها بشخصية "ابن عطاء السكندري"، فأخذت تهيم في مفرداته وأقاويله تارة، وتنقده تارة أخرى، فتقول إنها تعارض ابن عطاء في قوله باستسلام الصوفي لحوادث الحياة، بحيث لا يريد إلا ما يقع. وترفض كذلك قوله بتقبل أذى الناس كأنه أقدار إلهية.[١٣]

وعدت عدول أستاذها "بولس نويا" عن استبعاده لدراستها لابن عربي، إشارة لها بأن تقتحم ميدانه الذي يقف على أعتابه الكثير من الباحثين غير القادرين على تجاوز أسواره[١٤].

٥ـ تأثرها بابن عربي :ـ

لا نحتاج لأن نصل إلى عمق مؤلفات "سعاد الحكيم " حتى نصل إلى محور علاقتها بابن عربي، فمن الوهلة الأولى نجدها تسلك دربه بلا هوادة، مستمتعة بلا مشقة ترى " أن **قراءة الإنسان للنص الأكبري تحسن نوعية حياته** " [١٥]

ولم تكن " الحكيم " لتفتن بإرث ابن عربي على المستوى العلمي فقط، بل وجدت نفسها تنساق وراء فكره بروحها، فتقول: " أنا لم أختر ابن عربي حين تلفظت باسمه، ولكن هو الذي اختارني، واختارني ثانية حين فترت همتي عنه وانصرفت إلى القونوي[١٦]، وهذا شأن الأولياء الكبار فإن مدوناتهم ليست بضاعة مزجاة بل تراهم يختارون من يبحر في مراكب حروفهم" [١٧]

وقد صرحت " الحكيم " كثيرا بامتزاج أفكار ابن عـــربي بأفكارهـــا العلميـــة والروحية والشخصية أيضا، مع اعترافها بعدم قدرتها على تكرار تجربة ابـــن عـــربي كاملة، ونجد ذلك واضحا في أمور كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ حسن استقبال النعمة الإلهية :

تدلي " سعاد الحكيم " بدلوها لتبين لنا مدى ولعها بعلم ابن عـــربي وفهمهـــا للكشف والتجلي، " ورغم أن بدايات ابن عربي توازي بل قد ترجح على نهايـــات كثير من السالكين، فإنه لم يصب بالاستكفاء المعرفي، بل أدرك أن هذا الكشف هو نعمة إلهية ويتوقف على كيفية استقبالها... وعلمني ذلك ألا اســـتكفى معرفيـــا وألا أضع بنفسي لنفسي خط النهاية، بل أنفتح على التعاليم من كل صاحب معرفة، كما علمني أن كل نعمة إلهية قد تكون بداية لسلسلة من النعم أو قد تكون نهاية وخاتمة، ويتوقف ذلك على كيفية استقبالي للنعمة ". [١٨] هكذا لم تتردد الحكيم عن تـــرك روحها في فضاء ابن عربي، حتى تتغذى بقيمه المعرفية والروحية.

٢ـ قدسية الكون وكائناته :ـ

تصرح "سعاد الحكيم" بانجذابها نحو فكرة امتداد الكون كلـــه للـــذات الإلهية بمعنى تعلقها بها، فالكون كله من صنع الخالق ومن ثم به القدسية ذاتها" وحيث إن العارف لا يشهد الله سبحانه إلا في الأشياء فقد أصبحت الأشياء كلها بابـــاً إلى المعرفة .وقد علمني ذلك ألا أنحجب بصورة الأكوان وكائناتها عن رؤية التجليـــات الأسمائية الظاهرة في ذاك المظهر.. فصار كل شيء عندي يخص الله سبحانه، وبالتالي فكل شيء مُقدس؛ البشر، الطبيعة، أمم الحيوان والطير، بيئـــة البحـــار والأنهـــار.. وسلكتني تلك المحبة على درب رؤية الأخر وقبوله والاهتمام به وتفهمه." [١٩] ومن ثم يظهر الجانب الإنساني عند سعاد الحكيم، الذي يدعوها إلى احترام مكانة الآخـــر بمختلف درجاته، بل احترام الكون بكل ما اشتمل عليه.

٣ـ الثقة في العقل البشري :ـ

كانت " الحكيم " ترفض ما يُشاع في الوسط الصوفي من الاعتماد على القلب دون العقل، ومن ثم فقد وجد فكر ابن عربي العقلاني طريقا ممهدا نحو فكرها الصوفي " رغم كل ما يُشاع حول تعطيل الصوفية للعقل واستبداله بالقلب، وكانت التجربة الروحية هي تجربة لا عقلانية، فإن نصوص الشيخ الأكبر تكشف عن ثقته بالعقل، وعن كونه مستعدا بالقوة لقبول المعلومات إلى ما لا نهاية. وفي الوقت نفسه انفتاحه على أكثر من نظام منطقي في إنتاج المعرفة ... هذه الثقة بالعقل البشري، وبقدراته على قبول منطق القدرة ومنطق الحكمة معًا، أشبعت نزوعي الفلسفي ورسخت قناعتي بأن لكل شيء تفسيرًا ، وحرضت عقلي على البحث عن أسباب وراء الأسباب وعن معاني بواطن مكنوزة في خزائن الحروف".[٢٠]

٤ـ مخاطبة القرآن للإنسان :ـ

يرى ابن عربي أن القرآن الكريم يترل على قلوب الأولياء في رؤى مناميه أو مشاهد كشفية. وهذا التترل ليس وحيا جديدا لأنه لا رسول ولا نبي بعد رسول الله ﷺ، ولكن بشارات ومبشرات محمولة في آيات قرآنية، وهذا ـــ ومن وجهة نظره – دليل على أن القران ألفاظه ثابتة ومعانيه متجددة ومعاصرة دوماً، فتقول:-" وقد علمني نهج ابن عربي أن أقرأ القرآن قراءة رباعية: أقرأه تعبُداً، وأقرأه تعلماً، وأقرأه تفكراً، بأن أحاول أن أرى آياته في تفاصيل حياتي، وأقرأه تأدُباً بأن أعرض حياتي على آياته الكريمة ."[٢١] وفي ذلك تطويع للعقل في كل شيء لاسيما قراءة القرآن، ولكن العقل هنا لا يناقش بل يتأمل.

٥ـ حسن استقبال البلاء الإلهي :ـ

يرى ابن عربي أن الإنسان يصبح كاملاً، إن جمع في كيانه الظاهر صور الوجود، وجمع في كونه الباطن آثار الأسماء الإلهية كلها .

وعند هذه النقطة تحديدا توقفت " سعاد الحكيم " وقد وظفت هذه الفكـــرة في فهم التاريخ الديني، إذ تقول :" وقد ساعدتني هذه الفكرة على فهم التاريخ الديني، ولماذا كان الأنبياء أشد بلاء ومن بعدهم الأولياء ...كما علمتني أن حياتي هي نص خاضع للقراءة والتأويل، وأن السعادة والشقاوة تابعان للوعي والمعرفة، فإن صـــنف وعييّ البلاء خيرا استراحت نفسي وتنعمت، والعكس صحيح، وهذا لا يعني تعريض نفسي للبلاء أو التمتع بتعذيبها ". (٢٢)

٦ـ الغفران: ـ

لم تخجل " سعاد الحكيم " من أن تذكر مواقف الحلم والغضب معها، ولا أن تلوم نفسها على غضبها في بعض الأحيان، وتعود بذلك الفضل لمواقـــف الغفـــران الذي امتاز به الشيخ الأكبر، ونجدها تصرح – بعدما ذكرت إحدى مواقف الغفران عند ابن عربي – " هذه الطاقة اللامحدودة واللامشروطة على الغفران، هي ملهمـــة لكل صاحب همة من البشر..وقد ذكرت قول الشيخ الأكبر وأحسست بوجـــوده شاهدا عليّ كلما وقفت عاجزة عن غفران أذية عميقة، فاجتهدت في تنقية شـــعاب قلبي من خفايا الحقد والغضب، نجحتُ حينًا وأخفقتُ أحيانًا ولا أزال أحاول" .(٢٣)

٧ـ المعادلة الصعبة بين الجراءة والحكمة :ـ

ترى سعاد الحكيم ضرورة تخطي حاجز الجـــرأة والتحـــدي، للوصـــول إلى الحكمة التي يعجز عنها الكثير من المفكرين المعاصرين، حتى يتمكنوا مـــن التحـــرر الفكري، ويقوموا بخلق تيار فكري بإنشاء مدرسةٍ واســـتقطاب تلامـــذةٍ يقتنعـــون بفكرهم ويعملون على نشره وتمريره للأجيال، وقد صرحت بأن ذلك النـــهج قـــد وضع أساسه وشيد بنيانه الشيخ الأكبر، فتقول: " كان ابن عربي، جريئاً في قول ما يريد، وفي إعادة قراءة ما يريد، وفي الوقت نفسه حكيمًا، يحتـــرم العقـــل المســـلم، ويحسن نظم أفكاره وربطها بأصولها القرآنية والحديثية(٢٤). وقد مكنته جرأته مـــن الإبداع والتجديد، ومن أن يكون هو هو دون تزييف أو أقنعة(٢٥)، كمـــا مكنتـــه

حكمته من أن يؤسس مدرسة ويجمع تلامذة وتستمر أفكاره حية ومتوارثة في أجيال الأكبريّين إلى اليوم".[٢٦]

هكذا كان لابن عربي بالغ الأثر في حياة سعاد الحكيم الفكرية والاجتماعية أيضا وهي في ذلك تقول : " هو باب من جملة غيره دخل منها ابن عربي إلى حياتي، وعلمني أن الجرأة حرية وأن الحكمة مسؤولية، وأن من يحمل رسالة إلى الناس هو غير أمثاله من البشر بجرأته وهو مثل أمثاله من البشر بحكمته ".[٢٧] فلم تزل الحكيم تبلور نتاجها الفكري وتزينه بالتصاقه بخصال ابن عربي الفكرية.

المبحث الثاني
منهج سعاد الحكيم في دراسة التصوف الإسلامي

يُعد مفهوم المنهج العلمي مفهومًا رائدًا، يمثل استيعابه وعدًا حضاريًا أكيـــدًا، ليتبوء بذلك موقعًا مرموقًا في الخطاب المعرفي والثقافي معًا، فالمنهج العلمي باختصار شديد يمكن عده كأنجح آلية امتلكها العقل في مواجهة الوقائع. ومفهوم المنـــهج في حد ذاته يعني الطريق الواضح، الذي يمثل ويجرد العملية والتفكير العلمـــي لطريـــق الباحثين وإضافة لابد منها إلى نسق العلم.

وعند الحديث عن الحكيم يمكننا القول أن سعاد الحكيم هي المرأة الفاعلـــة في زمن وضعت فيه المرأة موضع البحث والتحليل، و لم تكتفِ الحكيم بتقديمها للجديد فحسب، بل دأبت على تقديم التصوف برؤية تناسب العصر الراهن، فكانت واحدة من المناضلات الصادقات اللواتي اضطلعن بمسؤولية للتجديـــد الصـــادق في حقـــل التفكير الديني.

فتبدع الحكيم في كتابتها بتناولها للموضوعات بالتحليل والشـــرح والمناقشـــة، وتغوص فيها عميقا في دلالات الألفاظ واستخداماتها.

تستخدم عدة طرق لكشف خبايا النصوص، واستخراج النتائج في الموضوعات المختلفة، وقد صنفت نفسها على أنها "من أهل الباطن"، تحضر إليهـــا المعـــاني، ثم تبحث عن شواهد عليها نصا وتشكيلا.[٢٨]

وقد علق رضوان السيد على منهجها قائلاً:" لقد أفادت الحكيمة من طريقـــة بولس نويا في اعتباره المفردة عندما تنتظم في جملة فإنها تصبح جزءاً في نظام، وعندها تخرج الدراسة من أسر المفردة وليس الكلمة، لتلتمس البناء الروحي فيما يشبه اعتبار الكلمات رموزاً يعود إليها الواصل".[٢٩]

وفيه تصديق على ما ورد في "المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة"، فقد بدأت فيه سعاد الحكيم خطة بحث المفردة ببحث معناها اللغوي، ثم بحثت معناها في القرآن الكريم، ثم حددت مضمون الكلمة عند ابن عربي.(٣٠)

فقد وصلت بذلك بالمفردة من معناها الضيق إلى حدود لا يعرفها إلا الواصل.

أولاً- النقد:

قامت سعاد الحكيم بتوجيه النقد واتخاذه منهجا بحثيًا في الكثير من أبحاثها خاصة في التصوف الإسلامي، وقد وجهت نقداً جوهرياً للعلماء الذين تناولوا ابن عربي، لأنهم – بحسب رؤيتها- يدرسون لغة ابن عربي دراسة سطحية، لا تشتمل على إضافة تفسير أو توضيح أو تعليل يبرز لغة ابن عربي .(٣١) وأحاول أن أذكر هنا نماذج من نقدها، على النحو التالي:

١- نقدها لسيد حسين نصر :

انتقدت الحكيم اختزال سيد حسين نصر وغيره من الباحثين للغة ابن عربي في إطار الرمزية فقط، إذ تقول :" يرى سيد حسين نصر أن ابن عربي يطبق مناهج التفسير الرمزي على القرآن والكون والإنسان، ويعيش في عالم رموز، حيث كل شيء له ظاهر مشهود وباطن هو محجوب خلف ستار الشكل الخارجي للكلمة والحرف".(٣٢)

٢- نقدها لمحمد مصطفى حلمي :

تضع الحكيم نماذج من أقوال محمد مصطفى حلمي لرمزية لغة ابن عربي، ثم تعقب عليها قائلة :" وبالتالي عالمه – أي ابن عربي – ليس عالم رموز، إذ القضية عنده هي قضية أسماء، أسماء قيلت لمعانٍ، لذلك لا ينفرد مسمى باسم، بل الاسم يطلق على كل من تحقق فيه معنى الاسم وحقيقة الاسم".(٣٣)

٣- نقدها لزكي نجيب محمود :

كان زكي نجيب يرى أن قالب اللغة عند ابن عربي قالب رمزي من الدرجة الأولى، إلا أنه قد دلل على ذلك بطريقة مختلفة عن غيره من الباحثين، حيث

استخدم ديوان " ترجمان الأشواق لابن عربي " كدلالة على المنهج الرمزي عند ابن عربي، وهنا تنتقد الحكيم، **أولًا: تعميم استخدام الرمز الشعري على اللفظ النثري الاصطلاحي.**

ثانيًا: أن استخدام الإيحاءات والشارات والصور والرموز كلها مجرد طريقة للتعبير وليست لغة، وتدلل على ذلك باستخدام السابقين واللاحقين أيضًا من المتصوفة وغيرهم من الشعراء هذه الطرق. فالرمز – كما تقول الحكيم –مشاع شعري وتعبيري، ولا تقوم عليه لغة علمية .[٣٤]

٤ـ انتقادها لأبي العلا عفيفي :

تعترف الحكيم بأن عفيفي هو رائد في دراسة ابن عربي، وأن قد استطاع أن يفهم ابن عربي كما لم يسبق لأحد فهمه، وذلك عبر التماسه للنصوص بين دروب الفلسفة حينًا والدين في حين آخر، لكنها تنتقد عدم وقفة عفيفي أمام لغة ابن عربي وقفة كافية، وفي الوقت ذاته تدافع عن ذلك باهتمام عفيفي بالجانب الفلسفي والصوفي عند ابن عربي، ولكنها أيضًا سرعان ما تعود لتطرح سؤلًا نقديًا؛ فتقول : " أليست اللغة هي المدخل شبه الوحيد لكل فلسفةٍ، وهي الشاهد شبه الوحيد على وجودها؟.[٣٥] وعلى ذات النسق يأتي نقدها لنصر حامد أبو زيد، وتقول الحكيم جملة، أن لغة ابن عربي لم تحظ بدراسةٍ مستقلةٍ و لم يدم أحد إليها العناية اللازمة التي تجعلها محل تصنيف لمعجم مفرداته ومصطلحاته، ليقف على الجديد فيها من الموروث، ويبين كيف تكونت.[٣٦]

وفي موضع آخر، انتقدت سعاد الحكيم " الست عجم بنت النفيس" رغم ثنائها الشديد عليها في كثير من المواضع، فإنها انتقدت ثقافتها الصوفية المحدودة.[٣٧]

كذلك وجهت الحكيم نقدين إلى محمد عبده، **الأول:** في كونه قد تجاهل نشأة الإنسان وحياته طيلة الخمس قرون الأولى والتي مر من خلالها بأطوار مختلفة، تشمل طور الخيال والوهم والتحجر والتعصب في أصول الإسلام، ومن ثم خرج المسلم من

نور العلم في زمن القوة إلى ظلمة زمن الضعف والتخلف، وتتسأل : كيف يمكننا أن نطالب بإلغاء علم إسلامي – استقر بجهد عشرات السنين – لأن المسلم الذي صادفه محمد عبده قد أساء فهم هذا العلم[٣٨]؟ وخاصه أن هذا المسلم نفسه قد أسأ فهم القرآن والحديث كذلك!

أما **النقد الثاني** فيتمركز حول نظرة محمد عبده إلى الدين كظاهرة اجتماعية[٣٩]، حيث إن الحكيم ترى أن النظرة الاجتماعية للدين من شأنها تفتيت عموم الرسالة المحمدية، وعالميتها فتتلون بألوان المجتمعات المحلية من ناحية، وتخضعها للظروف الزمنية من ناحية أخرى .

ثانيا- استخدامها للعقل :

ركزت سعاد الحكيم في كتابتها الصوفية على بعدين: هما البُعد العرفاني والبُعد الأخلاقي، وفي الوقت ذاته نجدها قد انصرفت إلى دراسة البُعد التربوي. ومن هنا نستطيع أن نرى استخدامها للعقل، بدرجة تجعله على حافتي القلب والوعي معاً! وهو ما صرح به رضوان السيد بقوله :" إن تميزها – يقصد سعاد الحكيم – يظهر في الدراسة التقديمية، وهي غالباً ما تقدم فهمًا آخر يتراوح بين القلب والوعي (العقل) "[٤٠]

وعلى الرغم من انجذاب الحكيم للتصوف، فإنها لم تجد فيه ما ينافي استخدام العقل، فضلاً عن العالم الروحي الذي ينغمس فيه المتصوفة، وتلك الرؤية مطابقة لرؤية جمال نعيم في قوله عنها :" إن الحكيم كانت تثق بروايات المتصوفين، ولا ترى فيها ما يناقض التفكير الفلسفي العقلاني مع أنها كانت متخصصة أصلا في الفلسفة".[٤١]

إذا؛ فبطريقة أو أخرى جمعت الحكيم بين الجانب الروحاني والجانب العقلي، فلم يمنعها تخصصها في الفلسفة التي هي لغة العقل، من اتباعها للتصوف الذي يطغى عليه الجانب الروحي، فصنعت بذلك مزيجًا مختلفًا كونت به فلسفتها الخاصة.

ثالثا- الدفاع عن الأفكار الروحية :

تظهر الأفكار الروحية في خط الدفاع الأول في النتاج العلمي لسعاد الحكيم، فظهر الجانب الروحي بشكل قوي لا يحتاج إلى بحث أو تنقيب، فنجدها تدافع عن الأفكار الروحية في مواضع عدة، ولعل ذلك كان أسوة بابن عربي، فقد دافعت بقوة عن الولاية، ووصفتها بأنها تقع في الدرجة الثالثة والأخيرة في الحياة الروحية[٤٢].

كذلك ألقت عدة محاضرات حول الحياة الروحية منها على سبيل المثال:

أ – محاضرة بعنوان "ورقة عمل للحوار الروحاني" في جامعة القديس يوسف عام ١٩٩٩.

ب –ندوة بعنوان "الحياة الروحية في لبنان" عام ٢٠١١.

جـ – محاضرة " الحياة الروحية من الرؤية إلى التجربة"، جامعة القديس يوسف، ٢٠١١.

د –محاضرة " الحياة الروحية في الحياة اليومية المعاصرة" جامعة القديس يوسف، ٢٠١٣.

ه – مقال " المرأة في الفضاء الصوفي قد تصل إلى رتبة القطبية، وهي بمنزلة الخلافة في الدولة الروحية" ١ يوليو٢٠١٩.[٤٣]

رابعا- طرح الأسئلة :

لم يخلُ نتاج سعاد الحكيم من صورة العقل المتدبر الذي تجول بداخله الأسئلة التي تتصف بالعمق والعلم، وربما ألفت كُتبًا من هذه الأسئلة في بعض الأحيان، فنجدها تصرح بأن كتابتها لكتاب " ابن عربي ومولد لغة جديدة" هو في الأصل إجابة عن مجموعة من الأسئلة التي طرحتها على نفسها، فتقول :" إن لغة ابن عربي لم تحظ بدراسةٍ مستقلةٍ فلم يأخذ أحد معجم مفرداته ومصطلحاته التي استخدمها ليبين الموروث منها من الجديد، ويبين كيف تكونت؟ وهل هي مجرد لغةٍ قديمةٍ عامةٍ طبعها بطابعِه أم أنه ابتكر لغة جديدة تخصهُ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها، كانت الدافع إلى قيامي بهذا العمل".(٤٤)

كذلك، قامت بطرح بعض الأسئلة الجوهرية في مقال " المرأة بين القيادة الروحية والقيادة الدينية" فتسأل: لماذا لا يوجد اسم امرأة واحدة في سلسلة أقطاب الطرق الصوفية؟

وهل كان ذلك بسبب طغيان صيغة المؤسسة الصوفية على الوجود الصوفي بعد القرن السادس الهجري؟

وتارة أخرى، تتساءل أيضا: هل دخول الطرق الصوفية إلى الغرب الأوروبي والأمريكي منذ بدايات القرن العشرين سوف يغير خريطة الوجود النسوي في المؤسسات الصوفية ؟

وهناك نموذج آخر تطرح فيه الحكيم مجموعة الأسئلة؛ فتقول: متى ينتهي ابن عربي من تطويع اللغة الموروثة، وتنبع من بين أصابعه اللغة الجديدة؟

ما القانون الذي يلملم هذه الكثرة اللغوية ويجمعها في قاعدة واحدة، أي ما هي القاعدة الواحدة التي على أساسها صاغ ابن عربي لغته الجديدة كلها، ونحت مفرداتها؟(٤٥)

ونجدها في مواضع أخرى، تتساءل بعد عرضها لشخصية "صاحب الحال" وتقول: ما هو إذن هذا الحال الواحد الذي مكن ابن عربي من معرفة أحوال السابقين كلهم؟(٤٦)

كذلك صاغت الحكيم عدة أسئلة حول لغة المتصوفة، فتتساءل: هل عبر المتصوفة عن تجربتهم بلغة الآخرين؟ أم خلقوا تجربتهم من لغة جديدة؟(٤٧) ثم تطرح سؤالًا أعم من ذلك فتقول: لماذا هناك لغة جديدة؟ (٤٨)

وفي إطار تساؤلاتها عن اللغة وجدوى التعبير الصوفي عن التجربة الروحية الخاصة، تتساءل عما كان سيؤول إليه مصير التصوف الإسلامي لو لم يظهر ابن عربي في الأفق الصوفي؟(٤٩)

خامسًا- المقارنة :

امتاز منهج الحكيم بسمات عدة، تأتي (المقارنة) كواحدة من أهم تلك السمات، وقد انتهجت الحكيم منهج المقارنة في مواطن كثيرة، منها على سبيل المثال:

– مقارنتها بين نظريتي السعادة والمعرفة عند الفيلسوفين ابن باجة وابن طفيل، وذلك من خلال بحثها " الفيلسوف في مدينة السعادة: بحث في قيم المعرفة وقيم السعادة بين ابن باجة وابن طفيل".

– وقد قامت أيضًا بعقد مقارنة للتقريب بين مذهب المفكر المصري عبد الرحمن بدوي في الوجودية وموقفه الصوفي، كان ذلك في إطار محاضرة " ظلال صوفية لوجود بدوي ووجوديته".(٥٠)

–مقارنتها بين منهج الغزالي وديكارت في "الشك" وكيف أن الغزالي قد سبق ديكارت إلى الشك المنهجي، وقد قدمت لذلك بحثًا بعنوان" محور الشك واليقين في الفكر العربي والإسلامي – نموذج الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال".(٥١)

وقد عقدت الحكيم مقارنة تفصيلية بين مذهبي ابن عربي وتريزا الأفيلية في " الجسد" مع اعترافها بالفجوة الزمنية التي تفصل بين الاثنين، إلا أنها أوضحت بالتفصيل مراحل الجسد عند كل منهما، وكيف تمكن ابن عربي من تخطي فكرة الجسد المعهودة، والخروج من حيز التعذيب الجسدي عند الصوفية، وذلك في وقت أقل بكثير مما استغرقته تريزا الأفيلية.(٥٢)

-وفي إطار الحديث عن المقارنة، يجب الوقوف على مقارنة فلسفية عميقة عقدها الحكيم بين قطبي التصوف: الغزالي وابن عربي، فتقول الحكيم: إن الغزالي هو وريث المعاملة، ووريث لغة المعاملة، وأن ابن عربي هو وريث المكاشفة، ووريث لغة المكاشفة، وتستدل على ذلك بموسوعة " إحياء علوم الدين" للغزالي، وموسوعة " الفتوحات المكية" لابن عربي.(٥٣)

- كذلك تقارن الحكيم بين الحوار الصوفي قبل ابن عربي وبعده، وفي إطار هذه المقارنة، وصفت الحكيم الحوار الصوفي قبل ابن عربي بأنه " أقوال متفرقة نتجت عن أسفار متفرقة اتخذت الأحوال والمقامات علامات على الطريق" بينما ورث ابن عربي أنماط الشخصية الصوفية، واستطاع بعدها أن يطوع اللغة ويطبعها.(٥٤)

- وفي الإطار ذاته تعقد مقارنة بين الغزالي وابن عربي وبين القشيري، بقولها أن الفارق بينهم كبير جدا؛ لأن القشيري ليس وارثًا للحوار الصوفي، وإنما كان ناقدًا صوفيًا وجامعًا لأقوال المتصوفة.(٥٥)

سادسًا : المنزع الفلسفي:

إن النظرة الأولى على النتاج الفكري للحكيم توحي بتحيزها التام للتصوف دون غيره من المجالات، وقد يرى بعض الباحثين استبعاد الحكيم عن الحقل الفلسفي نتيجة للمعتقد السائد بتعارض الفلسفة مع الدين، وهو ما نفاه جمال نعيم عن الحكيم قائلًا:" إن الحكيم تثق بروايات المتصوفين، ولا ترى فيها ما يناقض التفكير الفلسفي العقلاني مع أنها كانت متخصصة في الفلسفة أصلًا".(٥٦)

وتنفي الحكيم عن نفسها تهمة بُعدها عن الفلسفة بأبحاث كثيرة في الحقل الفلسفي، نذكر من أهمها:

– الصراع على العقل، رؤية في ممارسة ابن عربي للمعرفة.

– محور الشك واليقين في الفكر الإسلامي– نموذج الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال. وقد قامت فيه – كما سبق أن ذكرت – بعرض مقارنة بين منهج الشك عند الغزالي وديكارت، كذلك أوضحت في هذا البحث أقسام الشك عند الغزالي.

–تقديمها لكتاب "العرفان: ألم استنارة ويقظة موت" للشيخ شفيق الجرادي، وفيه يسعى الجرادي للكشف عن حقيقة العرفان، وإبراز خصائصه من منظور ديني فلسفي.

– نهج جورج زيناتي في تدوين الفلسفة، تعليقًا على كتابه "الفلسفة في مسارها، مدخل إلى الفلسفة".

– ولا يمكن الحديث عن الفلسفة دون ذكر أهم قضاياها، وهي قضية " وحدة الوجود" وقد أفردت لها الحكيم مجموعة من الأبحاث والمحاضرات، من أهمها:

١– بحث بعنوان " وحدة الوجود" عام ١٩٨٨م.(٥٧)

٢– محاضرة بعنوان" وحدة الوجود" عام ١٩٩٤م.(٥٨)

٣–بحث بعنوان " الإنسان في إطار وحدة الوجود" عام ٢٠٠٠م.(٥٩)

٤– بحث بعنوان "وحدة الوجود عند ابن عربي، قراءة إنسانية" عام ٢٠٠٣م.(٦٠)

٥–محاضرة بعنوان" واحدية الوجود وكثرة المشهود– إطلالة على ميتافيزيقا الوجود عند ابن عربي" عام ٢٠١٠م.(٦١)

سابعًا- القراءة والتأويل:

أقرت الحكيم منهج القراءة في دراسة الكثير من الموضوعات، وربما كان ذلك بنمط مختلف، فنجدها على سبيل المثال تقرأ مشهد إسلام "بلقيس" قراءة سياسية

بحتة، حيث رأت أن بلقيس كانت على قدر كبير من الذكاء والدهاء السياسي، إذ إنها عندما أعلنت إسلامها، قالت لسليمان إنها معه، و لم تخبره أنها منقادة له، وهو ما أسمته الحكيم **بالاتحاد السياسي**.(٦٢)

ويبدو أن الحكيم قد اتخذت من القراءة والتأويل نمط الحياة بشكل عام وليس في منهجها العلمي فقط، تقول:" **إن حياتي نص خاضع للقراءة والتأويل**"(٦٣).

كذلك قامت الحكيم بتقديم قراءات مختلفة في موضوعات كثيرة، مثل :

– بحث بعنوان " المرأة ولية وأنثى ..قراءة في نص ابن عربي".(٦٤)

–بحث "صوفية لسان الدين بن الخطيب ...قراءة نقدية لكتابه روضة التعريف بالحب الشريف".(٦٥)

–بحث بعنوان "ابن عربي – قراءة المنهج". (٦٦)

– بحث بعنوان " الروح وابن الروح قراءة في عيسى عند ابن عربي".

– بحث بعنوان "مذاقات الحب الإلهي – قراءة في نص ابن عربي".(٦٧)

– محاضرة بعنوان " جبران خليل جبران في مرآة الفكر الصوفي ".(٦٨)

ثامنًا- ربط الأفكار بالأصول الدينية:

تمسكت الحكيم بربط الأفكار واللغة أيضًا بالأصول الدينية، وكان ذلك بداية من المعجم الصوفي الذي ذكرت فيه المعنى اللغوي، ثم تذكر ورود اللفظ في القرآن الكريم من عدمه، و لم يقف الأمر عند المعجم الصوفي فحسب، بل إن كثيرًا من الموضوعات التي أثارها الحكيم كانت تربط أصولها بالقرآن والسنة، مثل حديثها عن تطور مفهوم الأمية، حيث ترجع ذلك التطور لأسباب وعوامل، كان من أهمها:

١– وجود كتاب كريم وتعاليم نبوية محفوظة في كتب الحديث الشريف؛ فالمسلم لديه القرآن الكريم وهو ملزم بقراءته أو الإنصات إليه، في صلواته الفردية والجماعية، وفي المناسبات والاجتماعات. فالقرآن نقل العرب من أمة في سوادها الأعظم أمي إلى أهل تدوين وتسطير. وفتح الباب واسعًا ليدخل منه كل فرد إلى

معرفة لغوية ودينية وتاريخية. بما فيه من ألفاظ وأحكام. كما أن الحديث الشريف وسع معرفة المسلم بدنياه وآخرته وأنماط العلاقات المفروضة بين الأفراد والمجتمعات.

٢- نظام الحياة الإسلامية، فالمسلم مُلزم بأن يلتحم في جماعة، يتشارك معها أقواته وعباداته، ويتولد من تفاعل هذا التعايش الجماعي تبادل معرفي بين الناس.(٦٩)

ونلاحظ أن الأمي يعتمد اعتمادا كليا على ذاكرته وصحائف عقله، في حين يظل الإنسان المُتعلم يحتفظ بعلمه في أوراقه التي دائما ما تكون أكثر عرضه للإتلاف والضياع.

وأقدم هنا نموذجا آخر لربط الحكيم للأفكار بالأصول الدينية، وهو ردها لقضية الرهبنة للأصول المسيحية والقرآنية، إذ تقول :" الرهبانية قيمة عليا في حقل الوجود المسيحي، وقد تحققت في رموزهم الوجدانية، بروايتهم ورواية القرآن الكريم".(٧٠)

خاتمة البحث:

ناقش هذا البحث الموسوم بعنوان " تشكلات الجانب الروحي عند سعاد الحكيم" العوامل التي شكلت طبيعة الشخصية المحورية لهذا البحث، ومنهجيتها في دراسة التصوف الإسلامي.

وتظهر أبرز نتائج هذا البحث فيما يلي:

١- يمكننا حصر القاعدة الأولى في حياة سعاد الحكيم الإنسانية والفكرية في مضلع خماسي الأضلاع:

أ – **والدها،** الذي كان مصدر الثقة لدى الحكيم، وهو الذي وضعها على طريق التصوف وتجربته الروحية.

ب – المحن والصعوبات، التي قالت عنها الحكيم إنها السبب وراء تأملها وقوتها؛ إذ تقول مؤيدة ذلك:" كم دخلت محنًا في حياتي، ساعدتني قراءاتي الإيمانية للأحداث، ومحاولة اكتشاف الحكمة الإلهية منها، على الخروج سالمة بل أشد قوة وتماسكًا ".(٧١)

ج – **البيئة**، تحدت الحكيم مجتمعها، وسارت في الطريق الذي رسمه لها والدها، وأكملت الخطى حتى استطاعت أن تخرج من بوتقة الذكورة والأنوثة، والتطرف الفكري، حتى وصلت إلى الجمع بين التصوف والفلسفة في آن واحد.

د – **أستاذها بولس نويا**، الذي كان النافذة الأولى التي طلت منها الحكيم على حياة ابن عربي.

ه – **ابن عربي**، حيث يُعد محورا أصيلا نتج عنه إرث كبير من نتاج الحكيم الفكري والإنساني أيضًا، فلم يشكل ابن عربي الرؤية الفكرية للحكيم فقط، وإنما طبع شخصيتها بطابعه الإنساني.

٢– لم تتخذ الحكيم منهجًا واحدًا في دراساتها للعلوم الإسلامية، وإنما اتبعت مناهج متعددة، غير متناقضة في الوقت ذاته، استطاعت معها تشكيل إيديولوجية خاصة بنتاجها الفكري، وقد بدا منهجها في تناغم يستحق التأمل فنجدها؛ **أولًا**: تستخدم منهجي النقد والمقارنة فتستطيع من خلالهما إظهار فكرها في قالب علمي من الدرجة الأولى .

ثانيًا: استخدامها للعقل رغم تعلقها بالتصوف، فإنها تجمع بين العقل والقلب، وهو أمر يظهر في دراستها، مما يجعلها تقتحم ميدان الفلسفة باستخدام النزعة الفلسفية الناتجة عن استخدامها للعقل.

ثالثًا: في إطار استخدامها للعقل نرى منهجها في طرح الأسئلة، مما نتج عن تلك الأسئلة أبحاث كاملة في بعض الأحيان، مثل بحث " ابن عربي ومولد لغة جديدة"، وطرح الأسئلة في حد ذاته أمر يحتاج لمنهج آخر يسانده، وهو منهج القراءة والتأويل.

رابعًا: استخدمت الحكيم منهجا يربط الأفكار بالأصول الدينية، كالمصطلح القرآني والأحاديث النبوية، وهو منهج شائع بين الباحثين في العلوم الدينية، لكن

الحكيم قد طبعت ذلك بطابع خاص، وهو دفاعها عن الأفكار الروحية أيضًا وهي فكرة تقع في صلب المنهج الصوفي أكثر من غيره .

قائمة المراجع والمصادر:

- المرأة والتصوف والحياة، سعاد الحكيم، كتز ناشرون، ط١، بيروت ٢٠١٧.
- الحكيمة الصوفية، دراسات مهداه لسعاد الحكيم، كتز ناشرون، بيروت ٢٠٢٣.
- حكيم الأزهر ابن عطاء السكندري، سعاد الحكيم، مجلة طوسين، ٩ أبريل ٢٠٢٣.
- ابن عربي ومولد لغة جديدة، سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩١.
- المعجم الصوفي – الحكمة في حدود الكلمة، سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، بيروت ط١، ١٩٨١م.
- محمد عبده مصلح مختلف فيه، سعاد الحكيم، مجلة التراث العربي، العدد ٢٧، ٢٨، أبريل ١٩٨٧م.
- خاتم الأولياء – النبوة والولاية في مذهب ابن عربي، مشيل شودكفيتش –ترجمة أحمد الطيب، دراسة سعاد الحكيم.
- المرأة في الفضاء العام قد تصل إلى رتبة القطبية وهي بمنزلة الخلافة في الدولة الروحية، سعاد الحكيم، مجلة الفيصل.
- محور الشك واليقين في الفكر العربي الإسلامي – نموذج الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال، سعاد الحكيم، ضمن ندوة الفكر النقدي والحياة العامة، اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة ٢٠٠٩م.
- ظلال صوفية لوجود بدوي ووجوديته، سعاد الحكيم، بيروت ٢٠٠٣.
- المرأة والرهبنة والزواج من منظور إسلامي، سعاد الحكيم، ١٩٩٧م.

الهوامش والإحالات

(١) انظر: المرأة والتصوف والحياة، سعاد الحكيم، كتر ناشـــرون، ط١، ٢٠١٧، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: كتاب المرأة والتصوف والحياة، سعاد الحكيم، ص٣٠/٣٦.

(٣) السابق ص٢٠ .

(٤) المرأة والتصوف والحياة، صفحة ٢٢-٢٣.

(٥)المرجع السابق، ص ٢٠ .

(٦) الحكيمة الصوفية، دراسات مهداه لسعاد الحكيم، كتر ناشرون، بيروت ، ص ٤٧.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٨) المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٩) المرأة والتصوف والحياة، ص ٢٠ .

(١٠) بولس نويا: ولد في منطقة العمادية في جبال كردستان العراقية في ينـــاير ١٩٢٥، ثم انضم إلى اليسوعيين في لبنان عام ١٩٤٨، وأكمل من بعدها دراساته في الإســـلاميات تحت إشراف المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، توفى بباريس عام ١٩٨٠.

(١١) انظر ، المرأة والتصوف والحياة، صفحة ٢٥ ، ٢٦ .

(١٢) المرجع السابق، صفحة ٢٦ .

(١٣) انظر: مقال حكيم الأزهر ابن عطاء السكندري، سعاد الحكيم، ٩ أبريل ٢٠٢٣. مجلة طوسين .

(١٤) خصصت الحكيم فصلا كاملا للحديث عن من تناول ابن عربي من السابقين وقصـــور نظرهم له، انظر: ابن عربي ومولد لغة جديدة، سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشـــر، ط١، ١٩٩١، ص ١٧ ـــــ ٢٧.

(١٥) المرأة والتصوف والحياة ، ص ٦٨.

(١٦) صدر الدين القونوي: محمد صدر الدين أبو المعالي بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي، الشهير بالقونوي، ١٢٠٩م ـــــ ١٢٧٤م، هو أحد تلاميذ محي الـــدين ابـــن عربي، وله مؤلفات عديدة أغلبها عنه، كما أنه قد أوصى بأن يدفن بجـــواره في الحـــارة الصالحية، لكنه لم يتمكن ذلك، وقد كان له علاقة قوية تجمعه بجلال الدين الرومي، وقد أوصى الرومي أن يصلي القونوني على جنازته.

(١٧) المرأة والتصوف والحياة، ص ٦٩ .
(١٨) السابق، ص ٧٠ .
(١٩) المرأة والتصوف والحياة، ص ٧١ .
(٢٠) المرأة والتصوف والحياة، ص ٧١، ٧٢ .
(٢١) المرجع السابق، ص ٧٣.
(٢٢) المرأة والتصوف والحياة، ص ٧٣.
(٢٣) المرجع السابق، ص ٧٤.
(٢٤) راجع:محيي الدين ابن عربي آراءه الأصولية والفقهية، أسامه شفيع السيد، تقديم: أحمد الطيب، دار التراث للبحوث والنشر. كذلك يمكننا الرجوع للقضايا الفقهية التي أثارها ابن عربي الفتوحات المكية و المحصول في الأصول .
(٢٥) تحدث عن ذلك أيضا عبد الوارث محمد علي في تقديمه لكتاب تفسير القرآن لابن عربي، فبعد أن شرح طبيعة البيئة التي عاشها ابن عربي في المغرب، قال :" فلم يعد له بُد في تلك البيئة المغربية إذ ذاك من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي يحدق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعقلاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سر ولا رمز ولا تأويل، وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشي رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته مع أهل الحل والعقد في البلاد، وقد حدث ذلك فعلا حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة". تفسير القرآن الكريم، ابن عربي، ضبط وتحقيق وتقديم : عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ج١، ص ٥.
(٢٦) المرأة والتصوف والحياة، ص ٧٥.
(٢٧) السابق، ص ٧٥.
(٢٨) راجع الحكيمة الصوفية، تصدير رضوان السيد، ص ب.
(٢٩) المرجع السابق.
(٣٠) انظر: المعجم الصوفي، ص ٢٣.
(٣١) انظر : ابن عربي ومولد لغة جديدة، ص ١٧.
(٣٢) السابق، ص ١٨.

(٣٣) السابق، ص ٢٠.
(٣٤) انظر :السابق، ص ٢١، ٢٢.
(٣٥) انظر : السابق، ص ٢٤، ٢٥.
(٣٦) انظر السابق، ص ٢٧.
(٣٧) انظر: المرأة والتصوف والحياة، ص ٢٦٨، ٢٦٩.
(٣٨) محمد عبده مصلح مختلف فيه، سعاد الحكيم ، مجلة التراث العربي، العدد ٢٧,٢٨، ١ أبريل ١٩٨٧م.
(٣٩) الأعمال الكاملة لمحمد عبده،ج٣، ص ٢٢٧.
(٤٠) الحكيمة الصوفية، ص ب.
(٤١) المرجع السابق، ص١٠٠.
(٤٢) انظر: دراسة حول كتاب خاتم الأولياء – النبوة والولاية في مذهب ابن عربي، مشيل شودكفيتش، ترجمة أحمد الطيب، دراسة سعاد الحكيم.
(٤٣) مقال: المرأة في الفضاء الصوفي قد تصل إلى رتبة القطبية وهي بمنزلة الخلافة في الدولة الروحية، سعاد الحكيم، مجلة الفيصل .
(٤٤) ابن عربي ومولد لغة جديدة، ص ٢٧.
(٤٥) السابق، ص ٣١.
(٤٦) السابق، ص ٥٢.
(٤٧)المعجم الصوفي، ص ١٤.
(٤٨) السابق، ص ١٥.
(٤٩) ابن عربي ومولد لغة جديدة، ص ٤٢.
(٥٠) جاء ذلك في إطار مشاركتها في ندوة حول فكر عبد الرحمن بدوي، بيروت ٢٠٠٣.
(٥١) جاء ذلك ضمن ندوة " الفكر النقدي والحياة العامة" التي أقامتها اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة ٢٠٠٩.
(٥٢) المرأة والتصوف والحياة، ص ٢٣٥.
(٥٣) انظر: ابن عربي ومولد لغة جديدة، ص ٣٦.
(٥٤) انظر: السابق، ص ٣٨، ٤١.
(٥٥) السابق، ص ٤١.
(٥٦) الحكيمة الصوفية، ص ب .

(٥٧) نُشر في الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي.
(٥٨) أُلقيت المحاضرة في الجامعة الأمريكية ببيروت.
(٥٩) ضمن فاعليات مؤتمر أقامه المركز الثقافي الإسباني في عمان .
(٦٠) ضمن فاعليات مؤتمر أقيم في جامعة أكسفورد، انكلترا.
(٦١) ضمن فاعليات مؤتمر أقيم في طهران بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة.
(٦٢) المرأة والتصوف والحياة، ص ٢٢٨.
(٦٣) السابق، ص ٧٣.
(٦٤) مجلة التراث العربي، العدد ٨٠، ١ أكتوبر ٢٠٠٠م.
(٦٥) ضمن فاعليات ندوة دولية حول لسان الدين الخطيب، ٢٠٠٣م.
(٦٦)ندوة دولية حول محيي الدين ابن عربي، أقامها معهد ثربانتس بيروت، ومركز دندرة للدراسات والنشر في بيروت عام ١٩٩٧.
(٦٧) مجلة الفكر العربي المعاصر، ١٩٩٩م.
(٦٨) بيروت ١٩٨٨.
(٦٩) المرأة والتصوف والحياة، ص ٢٦٥، ٢٦٦.
(٧٠) ورقة عمل بعنوان الرهبنة والمرأة والزواج من منظور إسلامي" شاركت بها في مؤتمر التراث السرياني الثالث، أنطاليس، ١٩٩٧م.
(٧١) المرأة والتصوف والحياة، ص ٢٢.